التبئير في الأمثال الشعبية الليبية

دراسة وصفية تحليلية

علي أحمد علي الشارف

أستاذ مساعد –النقد الأدبي الحديث قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية كلية الآداب والعلوم/ قصر الأخيار/ جامعة المرقب

aaesharif@elmergib.edu.ly

تاريخ استقبال البحث: 25 مارس 2026م تاريخ قبول البحث: 20 أبريل 2026م

الملخص:

إن تتبع مفهوم التبئير وتطبيقاته على المثل الشعبي الليبي يكشف عن بلاغة الاختزال؛ لقدرته على ضغط نص روائي أو سردي مكتمل الجوانب متشعب الأحداث (بطل، صراع، رؤية، زمان ومكان، نتيجة) في تعابير مختصرة وكلمات قليلة قد لا تصل إلى السطر الكامل، مما يصيره بيئة خصبة لتحليل البنى السردية الصغرى، فيمكن استخدام تقنية التبئير عند تحليل المتن الحكائي في الأمثال الشعبية الليبية لإثبات أن المثل ليس مجرد نص لغوي فقط؛ لأن ذلك يظلمه ويخفي حقيقة أنه حدث ثقافي وبنية سردية متكاملة؛ باعتباره يمثل استراتيجية بصرية، به يتم تحديد المسافة بين المصغي وبين الموقف، فيعمل عمل بوصلة المتلقي؛ لأنه يحدد أين يقف: داخل الحدث أم خارجه أم فوقه، ليفهم الحكمة المقصودة.

الكلمات المفتاحية: التبئير، الأمثال الشعبية، الليبية، زاوية الرؤية، السرد.

Focalisation in Libyan Folk Proverbs
A Descriptive and Analytical Study

Dr. Ali Ahmed Ali Al-Sharaf

Assistant Professor - Modern Literary Criticism

Department of Arabic Language and Islamic Studies

College of Arts and Sciences - Qasr Al-Akhyar / Al-Marqab University

aaesharif@elmergib.edu.ly

Abstract:

Examining the concept of focalization and its applications to Libyan folk proverbs reveals the eloquence of condensation and brevity. Folk proverbs possess the remarkable ability to compress a complete narrative text—encompassing characters, conflict, perspective, temporal and spatial dimensions, and outcomes—into concise expressions and a limited number of words that may not even constitute a full line of

text. This characteristic makes them a fertile ground for the analysis of micro-narrative structures.

The technique of focalization can therefore be employed in analyzing the narrative content of Libyan folk proverbs to demonstrate that a proverb is not merely a linguistic text. Such a reductionist view obscures its true nature as a cultural event and an integrated narrative structure. Focalization functions as a visual and interpretive strategy through which the distance between the listener and the narrated situation is determined. In this sense, it serves as a compass for the recipient, guiding their position in relation to the event—whether from within, outside, or above it—and thereby facilitating a deeper understanding of the intended wisdom and meaning embedded in the proverb.

Keywords: Focalization, Libyan Folk Proverbs, Point of View, Narrative.

أولاً: المقدمة:

تعمل الأمثال الشعبية مرآة عاكسة لطبيعة كل مجتمع وثقافته في قالبها اللغوي ومنطوقها التوجيهي، تختزل نصوصًا سردية تمثيلية ومكثفة الدلالة مختصرة النص، يعمل السرد فيها أداة حسم تعيد قراءة الموروث الشعبي بناء على زوايا رؤية محددة، ويكون التبئير عامل رصد للعلاقة بين ذاتٍ تُدْرِك وموضوع مُدْرَك داخل النص، فلا يقتصر الاهتمام على ماذا يقال في المثل، ولكن يتعداه إلى: كيف يمكن أن يُرَى الحدث داخل هذا النص المكثف (المثل)؟ فيكشف التبئير عن زوايا إدراكية ومعرفية ينطلق منها المثل الشعبي لبيان من أي زاوية يختار الشخص سرد حكمته، فتنفتح آفاق جديدة تبرز كيفية رؤية الإنسان الليبي لكونه ومحيطه، ويصور ويعبر عن تجربته، فالمثل الشعبي الليبي المبئر ليس مجرد تصوير للواقع فقط بمقدار ما هو نمط تشكل صياغة جديدة من خلال عدسة تبئير (عين) ساردة تنتقي ما يقع تحتها وتعمل على توجيه المتلقي إلى تجسيد وتبني موقف محدد.

وإنه من المسلم به أن دراسة الأمثال الشعبية في البيئة الليبية قد غمرها البحث وفاضت الدراسات اللغوية والاجتماعية حولها، إلا أن التوجه المواكب لركب التطور والحضارة المنهجية والمقاربة النقدية الحديثة وخصوصًا المجال البنيوي الذي فتقه دي سو سير والجانب السردي الذي تمثله جيرار جينيت فيما يخص التبئير فتح مساراً جديداً لاستنطاق جماليات المنجز القولي الذي يؤطر لآلية انتقال اللغة من كونها مجرد وسيلة للتواصل إلى بناء سردي مكثف مشبع برأي معين ووجهة نظر محددة، حتى إن الحيز النقدي لهذا النمط السردي في المثل يعمل على التجرد من قول الحقيقة كما هي واقعة، لكنه يعمل عبر عدسة النظر التي يوجهها نص السارد من خلال خصوصية المتلقي على رؤيتها عبر زاوية تبئيرية تمنح القول سلطته التأثيرية، فأحيانا يُحَوِّلُ النصُّ المتلقيَّ إلى متفرجٍ وهو ما يُعْرَف بالتبئير الخارجي (الرؤية من الخارج) عندما تكون معرفة السارد أدنى من معرفة الشخصية، فيخلق مسافة نقدية بين المتلقي والمشهد، وأحيانًا يحيله إلى قالب الألم والمعاناة وهذا هو التبئير الداخلي (الرؤية مع/ الرؤية المصاحبة) عندما تغلب هيمنة (الأنا) أو (نحن) وتتطابق رؤية السارد مع وعي الشخصية فيتم إِشْرَاك المتلقي وجدانيًا وإقحامه في تجربة إنسانية مميزة وصادقة، وأحيانًا يُصَيِّره عين شخصية محددة عندما يتحدث المثل بصيغة الحقيقة المطلقة، وهذا هو التبئير الصفري (الرؤية من الخلف) أو اللاتبئير، عندما يكون السارد صوت المثل متمتعًا بوعي كلي ويتحدث بيقين مطلق وقواعد ثابتة؛ فتكون العلاقة بين

أنواع التبئير والأمثال الشعبية الليبية علاقة (رؤية) بـ (بنية)؛ لأنه يصوغ خبرًا عبر زاوية معينة تمنحه سلطة الإقناع لتعدد زوايا الرؤية لتشمل مستويات مختلفة في السرديات.

إن هذه الدراسة تخضع في **منهجها** إلى الربط بين الأدوات الإجرائية للسرديات كتقنية نقدية باعتبار التبئير ولد من رحمها وبين الطابع الثقافي لخصوصية المثل الشعبي، فتعتمد على مزاوجة المنهج الوصفي والمنهج التحليلي (السردي) ـ دراسة وصفية تحليلية، مركزًا على تتبع أدوات تحليل الضمائر من حيث علاقة الضمير المستعمل بوجهة التبئير، وسيميائية الصورة من خلال ربط نوع التبئير بطبيعة الصور النمطية داخل المجتمع الليبي وفق ما ترسمه صورة المثل الشعبي من تجسيد الأشياء والمظاهر والأدوات وطرائق التفكير والتعقيب، بالإضافة إلى المنظور الثقافي القائم على ربط زاوية الرؤية بالنسق القيمي الليبي باعتبار نوع التبئير: داخلي، خارجي، صفري، فتنحصر **حدود الدراسة** في إطار الموضوعية: المقتصرة على ربط مفهوم التبئير بأنواعه باعتباره أداة سردية، والمكانية: وهي حدود البيئة الليبية بين المدينة والريف والبادية، واللغوية: المتمثلة في قالب القول المنطوق والمخطوط باللهجة الليبية العامية لا الفصحى وما تتضمنه من مقاصد ودلالات.

وتنبع **إشكالية البحث** من الهوة القائمة بين الدراسات التقليدية المركزة على المفهوم اللغوي والاجتماعي وبين حداثة الدراسات النقدية السردية التي ترى في المثل الشعبي بنية حكائية مكثفة، وهذا يقود إلى التساؤل الجوهري: كيف يعمل التبئير باعتباره تقنية سردية تحدد زاوية الرؤية في تشكيل قالب هوية المثل الشعبي الليبي وتحديد معناه وتوجيه مغزاه؟ وهل انزياح الرؤية داخل النص في المثل الشعبي الليبي يسعى إلى الكشف عن خديعة السرد من خلال توظيف التبئير لإيهام المتلقي بطبيعة وجهة نظر معينة؟

وبناء على ما تقدم من منهج البحث وإشكاليته تتجلى **أهداف الدراسة** في تأصيل وتجذير المرتكز النظري لمفهوم التبئير والمثل الشعبي الليبي وتعالقهما ببعض من خلال رصد أنواع التبئير عبر عينات منتقاة من الأمثال الشعبية الليبية؛ وتحليل آليات المنجز القولية وإثبات الحركية السردية، باعتبار المثل ليس بنية جامدة ولكنه بنية حيوية تعتمد انزياح التبئير وتعدد بؤر الرؤية لإقناع المتلقي وتوجيه سلوكه، بالإضافة إلى تعمد نقل المثل الشعبي من قالب الاستشهاد النمطي المعتبر إلى قالب التحليل السردي والنقدي الحديث؛ ابتغاء تصنيف زوايا النظر في الإرث الشعبي الليبي واستنطاق المسكوت عنه وتحليل سلطة الحكمة التي توجه المجتمع في الإطار الثقافي وكشف أيديولوجيا الرؤية من خلال تبئير الأمثال الشعبية الليبية.

إن تتبع **الدراسات السابقة** للدراسة الموسومة بـ: التبئير في الأمثال الشعبية الليبية، تنصب في باب المزاوجة بين الدرس السيميائي والسردي والدرس الثقافي، فتعتمد تلاقح الأفكار ضمن عدة جوانب حين ينتقل البحث بين: (التبئير) السردية في الأمثال الشعبية الليبية (الدراسة النظرية) إلى: سيمياء المثل الشعبي الليبي ا(لمادة الخام، المحتوى) إلى زاوية الرؤية في الأدب الشفوي والمقالي (الجانب التطبيقي) تكون الدراسات العلمية التي تركز على التبئير باعتباره أداة نقدية سردية في النمط الروائي والقصصي دون حصرها بالمثل الشعبي الليبي، باعتبار السرد وسيلة بناء فقط والتبئير مِعول توجيه للمتلقي، نخلص إلى الذكر دون الحصر للدراسات التالية:

1. المجتمع الليبي من خلال أمثاله الشعبية، علي مصطفى المصراتي، المكتب التجاري، بيروت 1963م.
2. جماليات الرواية الليبية ـ من سرديات الخطاب إلى سرديات الحكاية، عبد الحكيم سليمان المالكي، منشورات جامعة مصراته، ط1ـ 2008م.

3. الأدب الشعبي في ليبيا ـ حصيلة وآفاق ـ، أعمال الندوة التي أقامها المركز الوطني للمأثورات الشعبية، مبروكة الشريف جبريل، منشورات اللجنة الشعبية للثقافة والإعلام ـ ليبيا، ط1، 2006م.

4. السرديات البنيوية في نقد الرواية الليبية ـ تمثيلات المنهج في المتن النقدي الليبي ـ محمود مُحَمَّد ملودة، كلية الآداب/جامعة مصراته، مجلة علمه البيان، مج: 6، ع: 2، 2023م.

5. المتلازمة اللفظية في الأمثال الشعبية المشتملة على أعضاء الجسم من كتاب الأمثال الشعبية في ليبيا للمصنف: مُحَمَّد حقيق، دراسة دلالية ونماذج سلوكية، د. مُحَمَّد سالم علي الرجوبي، كلية التربية، جامعة مصراته ـ المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراته ـ ليبيا، المجلد الأول، ع: 13 يونيو 2019م.

6. تحليل النص السردي ـ تقنيات ومفاهيم ـ مُحَمَّد بو عزة، منشورات الاختلاف، ط1، 2010م.

7. التبئير في السردين القرآني والتوراتي، د. رياض بن يوسف، جامعة قسنطينة 1 منتوراي، الجزائر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج: 9، ع: 2، 2020م.

ثانياً: التبئير والمثل بين التنوير والتوظيف:

إن تقنية التبئير بمدلوليها السردي في مجال الأدب والعلمي في مجال الفيزياء غير موجودة في القواميس اللغوية، ولكن يوجد لها جذر يخدمها وهو البؤرة، والمثل وجد سبيله إلى البلاغة العربية تحت مسمى الاستعارة التمثيلية التي لم تغب في ارتباطها بالفلسفة والخطابة السياسية عند اليونان، التي كان ينظر إليها باعتبارها أداة للإقناع والبرهان والتي كان رأى أرسطو فيها: أنها بقايا فلسفة قديمة نجت من الدمار بسبب إيجازها وذكائها؛ وارتبط البحث هنا بتعالق التبئير مع المثل الشعبي عمومًا والليبي خصوصًا، اللذين يلتقيان فيما يمكن تسميته بالعدسة الفكرية، أو ما يطلق عليه في مجال النقد الأدبي بالفونيمات الثقافية، والتي بها يحصل تحول التجربة الإنسانية من خاصة إلى عامة في التبئير من حيث: توظيف بعض العلوم في مجال البعض الآخر، وفي المثل الشعبي من حيث: مورد المثل متعلق بموقف خاص، ويتحول بالاستعمال إلى موطن استشهاد عام يضرب في سياقه وتحديد جانب مقصود بعينه دون غيره، فبالتبئير ينتقل المثل من صوت السارد إلى صوت الشخصية داخل النص الأدبي عمومًا وموضع الاستشهاد خصوصًا.

"التبئير مصطلح فيزيائي يوناني المصدر، وهو يعني تعديل مقدار النظر، وهو عبارة تعني في الأصل جمع الأشعة وتوجيهها متضامنة وجهة معينة، وقد استعملت خصوصًا في مجال المجهر، ويقصد بها تحديد فتحته، وضبط العدسة المناسبة لرؤية حقل معين" (قسومة، 2009، ص 42).

نجد انحدار أصول المصطلح من التراث اليوناني في الكتاب الثالث من الجمهورية لأفلاطون "عندما ميز بين نمطين للسرد، حين جعل النمط الأول حالة يكون فيها الشاعر نفسه هو المتكلم دون شخص آخر، وهو ما عُرِفَ بالحكاية الخالصة حين ترى المواقف والأحداث من طرح وسرد الشاعر الصريح، وأما النمط الثاني فتمثل في محاولة الشاعر أن يُصَيِّرَنا نعتقد بأنه ليس هو المتكلم وإنما شخصية أخرى، وهو ما عُرِف بالمحاكاة" (أفلاطون، 2004، ص 268)، إلا أن الفكر البشري جَانَبَ مسألة الاهتمام بمقالة أفلاطون حول ماهية التبئير وتوظيفه زمنًا طويلاً، حتى لقيت الاهتمام بها والالتفاف حولها مجددًا وإعادة التوظيف لها في المجال الأدبي، باعتبار أن اللفظة لا يخرج مَصَبُّ المراد بها عن قالب أداةٍ لقراءة نفسيةِ وثقافةِ ومعرفةِ البشر، كما هو أداة لفهم البناء الفني أيضًا.

إن إدراك علماء العربية لم يكن غافلاً أو مقصراً مذ زمن عبد القاهر الجرجاني، الذي نكاد نجزم بأن كرة الثلج اكتملت على يديه في التحديد والتوظيف لجوانب إرهاصات التبئير، حين استقر الفهم والدرس البلاغي على أن تَغَيُّرَ

المعنى مرتبطٌ بموقع المتكلم ومقام الخطاب، واستناداً إلى ذلك المنطلق لجانب تحديد توظيف اصطلاح التبئير وُلِدَت نظرية النظم القائمة على ترتيب رُؤَى وعلاقات إدراكية قبل أن تكون ترتيب كلمات وصياغة جمل؛ حيث إن الكشف عن الوعي المبكر بتغير زاوية النظر داخل النص رسم بدايات التبئير عند عبد القاهر الجرجاني، فيما أثبت في فصول نظريته الموسومة بنظرية النظم في مثل: الالتفات، والانتقال بين ضمائر المتكلم والغائب والمخاطب، والتقديم والتأخير والوصل والفصل، والفواصل البلاغية المتعددة، ما يتضح معها ملامح السرد وزوايا الأثر والتأثير رمزيًا ونفسيًا ومعجميًا، وهذا بالضرورة يقود إلى وجود قطبين: سارد أو حاكي أو مُلْقِي، والآخر: المسرود له أو المتَلَقّي أو المحكي له أو القارئ، ويرتبط الطرفان برؤية تؤطر عملية الحكي والمسماة في علم السرد بالتبئير، الذي وُلِدَ من حركة اللَّقَافَة والشغف والتَّوق العلمي في التحليل والتجديد والاستكشاف، وكذلك المعرفة الشاملة بالنظريات القائمة على العمق في الاستنباط واستباقية الأثر والتأثير، وهو ما يتجلى في الحركة الأدبية والنقدية الحديثة، والتي تجسدت في القرن العشرين على يد العالم الفرنسي: جيرار جينيت، بعد إرهاصات الولادة وإعادة الترميم على يد عدة مهتمين من أمثال الروائي: هنري جيمس الذي " بلور وعرض أدواته التقنية وفق غايات جمالية خاصة به، ووفق هذه الغايات فقط، وهي من أشهر هذه الأدوات، وهي ليست الأداة الوحيدة، تبنّي وجهة نظر مراقبة، توجد داخل الرواية متموضعة في ذهن إحدى الشخصيات" (جينيت وآخرون، 1989، ص 11)، فاستقر مفهوم التعريف الاصطلاحي والتوظيف الأدبي الدلالي على أنه: "محرق بصريات ينقل مركزًا، مركزُ اهتمامٍ وقبلةُ أنظارٍ ذات أبعادٍ تصويريةٍ مضبوطةٍ" (علوش، 1985، ص 54)، فلا يقتصر دور المحرق البصري الذي هو نقطة في عالم التصوير والبصريات، يراد بها تقاطع الأشعة لتشكل صورة واضحة، والتي إن تحولت إلى قبلة أنظار ذات أبعاد مضبوطة يحصل جوهر التوجيه الإدراكي، فهو بالتالي ـ في مجال السرد الأدبي ـ لا ينظر إليه كأداة لرصد واقع الحدث، ولا يكتسب قيمته إلا داخل مواطنه– أي: سياقه السردي أو البصري–فيبرز معه التحول من الوسيلة إلى الرؤية، وبه تنفخ روح الدراما في قلب الأشياء داخل موطنها الخاص لإيحائه بوجود تخطيط مسبق ومقصود لبناء المعنى، ولا يكتفي بمجرد النظر؛ بل يجعل من الشيء مركزاً داخل النص، أي أن المحرق البصري والتبئير كلاهما يعتمد على زاوية الرؤية ومسافة البعد والقرب، وما يتم اختياره للعمل على إظهاره بوضوح مقابل ما يتم تركه في الظل أو خارج التركيز، فكما أن عدسة الكاميرا تعمل على ضبط محرقها على نقطة محددة لتكون وجهة وقبلة الأنظار، يقوم التبئير السردي بمهمة الانتقاء وتخير تفاصيل محددة وتجنب أخرى، كذلك يعمد إلى مهمة التوجيه حين يجبر القارئ على إبصار مشهد معين من زاوية مضبوطة فكريا وشعوريًا، بالإضافة إلى عمل التبئير على التحكم فيما يطلق عليه بالمسافة الجمالية من حيث مدى القرب أو البعد عن الحدث؛ حيث إن الأديب عندما يكتب مشهدًا بتبئيرٍ عالٍ، فهو إنما يلجأ إلى ممارسة التصوير بالكلمات للتوصل إلى وصف تضييق الرؤية أو توسيعها، فإذا كان المشهد غزيرًا والمقام محصورًا كان للمثل الشعبي دوره من حيث احتياج التعبير عن مكنون النفس وما تستشعره من الموقف إلى استحضار صور متعددة متشعبة قد تكون مليئة بالمتناقضات، وتتباين فيها وحولها أفكار الأشخاص تبعاً للحالات الوجدانية، فيرسم المثل صورةً تولد مع الفكرة وترتبط بمراد صاحبها نحو مشاهداته تبعًا للسرور والألم والسعادة والشقاء، فيعمل في متلقيه على الإحساس بما يعانيه أو يريد توجيهه إليه فيستثير خياله ويصرفه إلى زاوية محددة يوجهها مفهوم التبئير في الأمثال الشعبية.

ثالثاً: مفهوم التبئير:

التبئير معرفة منبثقة ومتوالدة من تزاوج حقيقة الإدراك وحقيقة توظيفه وكينونة اللغة وآليات استعمالاتها، فلم يُعَيِّنْهُ البلاغيون العرب القدماء ولم يَغِبْ عن استعمالهم، ولم يستولده السرديون المحدثون الغرب من رحم أفكارهم، ولكنه جاء من نمطٍ إدراكي: مزج الحضارة بالإرث في المفهوم والتطبيق، وجاء من إعادة الفكرة إلى جذرها الاستعمالي في اللغة الأم (العربية) وكذلك التحديث لمسمى إعادة تدوير الأدوار التعبيرية وسبل الإفهام، فاستعمال الضمائر بصيغ المتكلم والغائب والمخاطب، وتنوع أدوات الربط، وتعدد أزمنة الأفعال وتباين التعابير إيجازًا وإطنابًا وتقديمًا وتأخيرًا وإظهاراً وإضماراً وفصلاً ووصلاً وغير ذلك، ما يكشف عن الإدراك الحاصل حول منطوق النص ومآلات القصد، وهو ما عرف في زمن الحداثة بتَغَيّر زاوية النظر داخل النص، فلكل نمط تعبيري بسياقه يؤطر لمفهوم مراد بعينه ومعنى مقصود بذاته.

1. التبئير لغة:

إن لفظ التبئير مشتق من كلمة بؤرة والتي جذرها الفعل بأر، وهي النقطة التي تكون محل تجمع الضوء أو النظر، أو ما يشمل على دلالة التركيز أو جعل الشيء في بؤرة الانتباه، جاء في لسان العرب: بَأَرْتُ أَبْأَرُ بَأْرًا، حفرت بؤرة يطبخ فيها، والبؤرة كالزبية من الأرض وقيل هي موقد النار، وبأر الشيء يبأره بأرًا وابتأره، كلاهما: خبأه، وادخره، ومنه قيل للحفرة: البؤرة، والبؤرة والبئرة والبئيرة، على فعيلة: ما خبيء وادخر، ومنه: البئر، مكان تجتمع فيه المياه. (ابن منظور، 2003، ح1، ص 311)، وكلها معانٍ تدل على الجمع والحصر، وبهما تحصل الإحاطة والشمول اللذان يعدان قوام القضايا النقدية في تحليل الخطاب السردي، باعتبار تعالقهما بمدى اتساع الرؤية ومقدار مخزون المعلومات التي يُكْسِبُها الراوي للقارئ ضمن نطاق الدراسة البنيوية التي ينبثق منها التبئير والتي ينشدها جيرار جينيت في ربطه لمفهوم التبئير بقدرة الراوي على الولوج إلى العوالم الداخلية والخارجية للشخصيات.

وعلى هذا الأساس فإن التقاء الجمع مع دلالات الحصر في النص البلاغي ينتج قوة مبالغة وتخصيصاً دقيقًا مما يعزز شدة التوكيد والوصف في سياق الجملة، الأمر الذي يترتب عليه إيجازًا بليغًا يحدد المعنى بدقة ويقوي الحجة، كما هو الحال في تعدد عرض ذات القصص ووجود التكرار القصصي في النص القرآني القائم لتحقيق عنصري الإقناع والإمتاع "فالتكرار في القرآن يخدم غرضين: غرضًا فنيًا يتمثل في تجدد أسلوبها إيرادًا وتصويرًا، والتفنن في عرضها إيجازًا وإطنابًا، والتنوع في أدائها لفظًا ومعنى، وغرضًا نفسيًا بما له من تأثير في النفوس؛ لأن المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان ودوافعها كما هو مقرر في علم النفس" (نقرة، 1974، ص 115).

2. التبئير اصطلاحاً:

يعد التبئير من المفاهيم المركزية في السرديات الحديثة، اصطلاح تم نقل توظيفه من عالم الإبصار (العدسة) إلى عالم سرد الأدب واللغة بعد تمخض في تنقل المفهوم؛ والذي استقر كيانه وولد على يد الفرنسي جيرار جينيت قاصداً به الزاوية التي تعرض من خلالها الأحداث والمعلومات داخل النص، فهو اصطلاح يعطي انطباعًا بالزاوية الضوئية أو التركيز على جانب محدد بتسليط عدسة الرؤية أو الكاشف؛ إذ إن صاحب التعبير ـ المتكلم أو المؤلف ـ يُعَيّن بخطابه أين يضع كشاف الضوء؟ فيعمد بذلك إلى أن يسلطه على موقف أو مشهد كامل، أو أن يركزه ويحصره في نطاق ضيق أو زاوية محصورة جدًا، فيعمل على تأطير طريقة الاستيعاب لدى المتلقي أو المخاطب أو المتلقي. (جينيت، 1989).

إذاً فهو حصر حقل رؤية الراوي وتقليص معلوماته، والحصر يكون من باب جريان السرد في بؤرة تحدد إطار الرؤية، والتقليص يكون لتحجيم الفكرة لئلا يتم تجاوزها أو التوسع فيها.

لقد تم استعمال مصطلح البؤرة أو التبئير للدلالة على التقنية المستخدمة لحكي القصة المتخيلة، أي أن موقع الراوي من عملية القص وعلاقته بالشخصية الحكائية يسهم في تحديد الاتجاه الفني الذي ينتمي إليه النص الإبداعي، فالأعمال الواقعية تميل إلى سمة الراوي المحايد، العارض للأحداث دون تفسير لها أو تأويل، والأعمال الرومانسية والتقليدية عامة يغلب عليها تقنية الراوي العالم بكل شيء، الذي يتجاوز عتبة تقديم الأحداث إلى إعطائها نمطًا تأويليًا معينًا ويدفع المتلقي إلى الاعتقاد بها. (لحمداني، 1991).

رابعاً: التبئير في الأمثال الشعبية:

لا يشرد التبئير عن قطيع دلالة التركيز في سياق التحديد؛ إذ يتقن في الأمثال الشعبية باعتبارها نصًا يتم تحليله، وينقل بمفهومه من فضاء الرواية والسينما إلى بنية المثل الشعبي ليعمل كمحرق بصري بالمفهوم الفيزيائي المكثف جداً في المثل الشعبي، بحكم انتفاء وجود مُتَّسَعٍ لوصفٍ طويلٍ، لتمثل تقنية تضبط العدسة السردية بسرعة فائقة في اللفظ وجذب الانتباه؛ إسهامًا في تضييق نطاق الرؤية وتوجيه التيقظ والاستيعاب نحو عنصر محدد أو معنى معين يختزل حكمة كاملة؛ لأنه يقوم على توضيح مفهوم: على من؟ أو: على ماذا يتركز المعنى داخل المثل؟.

إن المثل لا يخرج عن كونه الكلام القليل المملوء بالمعنى الكثيف، يقوم على الاختصار اللفظي بقصد الاستئناس إلى المعنى العميق المراد والمقصد الخفي المرام، بين التصريح والكناية والرمز، وأصلاً بين ارتباط المورد بالمضرب، رابطاً بين الحقيقة التاريخية التي ظهرت فيها الأمثال لأول مرة (المورد) وبين حالات مشابهة حاليًا (المضرب).

كنز يحفظ مفردات اللغة وقيم المجتمع، وضرورة لفهم التخاطب الثقافي وتوارث الخبرات، "والمثل سمي بذلك لأنه ماثل لخاطر الإنسان أبدًا يتأسى به، ويعظ ويأمر ويزجر...، وفيه ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، إصابة المعنى وحسن التشبيه" (القيرواني، 1981، ح1، ص 280).

ولهذا يشير التبئير عمومًا وفي الأمثال الشعبية خصوصًا إلى زاوية الرؤية أو البؤرة التي تقدم من خلالها الأحداث أو المعاني، كون المثل صورة لتركيز الحكمة الشعبية المنبثقة عن التجربة والدربة والمشاهدة والتكرار، في صورة موجزة ومكثفة؛ لأن فكرة التبئير "لا تنصب دائمًا على عمل أدبي بأكمله؛ بل على قسم سردي محدد، يمكن أن يكون قصيرًا جدًا" (جينيت، 2000، ص 23)، فيختصر اللفظ القليل القصة الطويلة المتولد منها المثل بمواقفها وأحداثها، ويخرج منها بما يمكن وسمه بالزبدة التي هي نتاج مخض الحليب بعد حلبه وفصل مكوناته، فينصب التركيز حول فائدته ويطرح ميصه أو ماؤه عديم المنفعة بعد استخلاص أجود مشتق، وهو ما يمكن توصيفه بمركز الفائدة وموضع التركيز.

1ـ أهمية توظيف التبئير في الأمثال الشعبية:

إن النظر في وظيفة التبئير ومكانته في السرديات التي نقلت الدرس النقدي من كونه بحث في الشيء الذي يقال داخل النص إلى حقيقة كونه بحث في كيفية وآلية قول أو طرح هذا الشيء، يعد في الأمثال الشعبية، مقاربة نقدية حديثة ومثيرة، باعتبارها وسيلة تتحول عن طريقها الأمثال من مجرد حكم موجزة في لفظها إلى نص سردي مكثف في مدلولها، كما هو الحال في الأمثال الليبية ـ موضوع الدراسة ـ لاشتمالها على وجهة نظر ورؤية للعالم، فهو اهتمام بطرائق ظهور مكونات النص لا النص ذاته.

نلاحظ إيجاز قالب سرد المثل الشعبي مقارنة بالنمط السردي للقصة أو الرواية، فهو الأحفل بالدلالات والأغنى بالأحداث السردية المرادة والمستقاة، فتغيب عن الذهن تفاصيل غير مرغوب فيها وتحضر أخرى مرادة، وتنبه غافلاً وتغفل حاضرًا، وترسم خيالاً وتهدم واقعًا، كلها قوالب وبنى سردية يقصدها السياق ويشكلها التبئير ويعمل

لأجلها وفق أنواع التبئير المعهودة ـ كما عند جينيت، بين سارد عليم لا يسند التبئير لأي شخصية ولا يسنده إليه سواه وهو التبئير الصفري أو اللاتبئير، وآخر مقلصاً فاعلية الشخصية الإجرائية وتكون الشخصية في القصة ليست مجرد عاكسة للأحداث بوصفها موضوعاً للتبئير الداخلي؛ بل هي نفسها موضوع للتبئير الخارجي حين يتم الاكتفاء بتصويرها ظاهريًا دون نفاذ إلى أعماقها المستترة. (جينيت، 1997).

ويسري توطين مفهوم توظيف التبئير في تحليل خطاب المتخيل الشعبي والرؤية السردية للأمثال الشعبية من خلال المظهر الذي يسيرها بناء على الوجه الأكمل والمتمثلة في:

أ ـ المظهر اللغوي: ويتجلى في استعمال صيغ وأدوات لغوية دون غيرها، لها دلالتها ورمزيتها في الوسط والشاهد المقالة فيه ولأجله، تعبيراً عن فكرة أو تقريباً لصورة متخيلة أو واقعية، فهو احتجاج لا يحتاج إلى برهان، كالمثل: اللي تشبحه بعينك ما تسأل عليه الناس؛ حيث نجد استخدام أداة الشرط (اللي) وبها يحصل ربط الرؤية بالفعل مباشرة، فيدور حول فعل الرؤية وكيفية بناء الحقيقة بحصرها فيما تراه العين لا ما يقال أو يُسمع من الناس، فحصل التوكيد اللفظي للفظ (بعينك)، وتحديد أداة التبئير حاصل بالفعل (تشبحه)، وحصر الرؤية في الذات بلفظ (بعينك) وهذا تبئير داخلي، واستعمال أداة النفي (ما) إعلان الاكتفاء بالرؤية وإلغاء الحاجة لتبئير خارجي بقول (كلام الناس)، ووظيفة العنصر اللغوي: كاف الخطاب في التبئير هي دمج المتلقي ليكون هو المبئر الفعلي للموقف، وكل ما سبق يمثل سلطة العين في الموروث الشعبي الليبي، فتتقدم الرؤية المباشرة من خلال اللغة باعتبارها أعلى مراتب صدق مستويات التبئير؛ إذ يدعم فكرة الواقعية البراغماتية في حضور وحكم الشخصية الليبية.

ب ـ المظهر المنطقي: وهو استخدام منطق القياس؛ لأنه يساعد في بيان مفهوم: لماذا يصدق الليبيون الأمثال الشعبية؟ والسبب لا يعود إلى جمال التركيب اللغوي وحده، ولكن لقيامه على أحداث مبنية على مقدمات عقلية تحاكي الواقع المعاش، ففي المثل الشعبي: "العين ما تعلى على الحاجب" (أبو خشيم، 2014، ص 149)، تبرز جمالية الهندسة العقلية من حيث آلية إقناع المتلقي بالحكمة المستندة إلى الحجة المنطقية وكأنها قاعدة ومسلمة رياضية، فاعتبار التراتبية المكانية للعين والحاجب، فرؤية كل شيء في مكانه الطبيعي ربط منطقي لتبئير خارجي موضوعي، لعدم استناده على مشاعر العين أو الحاجب ولكنه استند على حقيقة وجودهما معًا في نظام فطري متسق، فيعمل التبئير هنا باعتباره أداة برهنة، معتمدًا على حصر الرؤية في زاوية تجعل النقيض مستحيلاً عقلاً، فالواقع المادي يمنع العين من القفز فوق الحاجب، فإنه منطقيًا لا يمكن للابن تجاوز الأب ولا الصغير يجاوز الكبير، فالكل في مرتبته ومنزلته في الواقع الاجتماعي.

ج ـ المظهر النصي: ويعتمد مادية النص، أي: بنيته من حيث التقديم والتأخير والحذف وأدوات الربط وإيقاع السجع، باعتبار المظهر النصي يمثل غلاف الحفظ للتبئير، لاتسام المثل الشعبي الليبي بالانغلاق النصي الذي لا يحتمل التأويل المتعدد لكثافة لغته التي تحصر المتلقي في زاوية رؤية ضيقة وموحدة وفاعلة وصادمة، فتجعل من المثل سلطة نصية قادرة على التأثير الفعال والمباشر، فالمثل الشعبي: "يا حافر حفرة السو يا طايح فيها" (حقيق 1978، ص 23) الذي تكررت فيه أداة النداء (يا) بهدف تثبيت بؤرة التبئير ونشر وتبسيط الاهتمام بين الأطراف المشاركة في الحدث.

فالمثل يبدأ بالنداء بالأداة (يا) وبها تتحدد بؤرة المنادى أو شخصية المبتأر بدقة، والمبأر هو الفاعل (حافر)، وبهذا لا يجعل من الحفرة جماداً بقدر ما هي محاكاة لحياة قادمة مبنية على طبيعة البداية وهي فعل الحفر، فإنه وبحسب المثل فإن (حفرة السو) بداية مؤلمة وسيئة وهي التخطيط للشر ستقود حتمًا إلى نداء مماثل بأداة نداء مستعملة وواردة

في سياق ذات المثل وصولاً إلى فعل النهاية وهو السقوط (طايح فيها) وهو الوقوع في الشر، وفي تكرار النداء بنفس الأداة تنبيه إلى أن النص يقوم بعملية تركيز الفهم وتسليط الضوء على عملية مزدوجة فتتم عملية تعزيز المظهر النصي من خلال خلق توازن إيقاعي ومنطقي رابط بين عناصر النص، وتتحول العبارة من ملاحظة عابرة إلى حقيقة حتمية، فوظيفة التبئير حال تكرار النداء الربط المنطقي بين حالتي إثبات أن النتيجة واحدة مهما اختلفت المقدمات، والانتقال من الفعل إلى الجزاء تشخيص القدر العادل في نص مكثف بمعزل عما إذا كان التركيز على الصفة لا الاسم الذي يبلور تحويل التبئير من شخص محدد إلى نموذج بشري عام.

فيعمد التبئير في المثل الشعبي الليبي وفق نظام معرفي متكامل تتآلف فيه أنماط اللغة والمنطق والبناء النصي لتحقيق وظيفتي: الدفاع والهجوم، كل بحسب مقامه ومقاله، مما يفتح أبوابًا بحثية في التراث الليبي لاستخدام أدوات النقد الحديثة (كالتبئير) في سبر أغوار الهوية الليبية ثقافيًا واجتماعيًا.

وكما تكمن أهمية توظيف التبئير في تحليل خطاب المتخيل الشعبي والرؤية السردية للأمثال الشعبية من خلال هندسة الرؤية أو المغزى الحاصل المترتب عليه في الآتي:

أ ـ تركيز المعنى والحكمة:

على الرغم من التقاء المثل والحكمة في كونهما يمثلان نتاج تجربة إنسانية بليغة وموجزة، إلا أنه يتفرد المثل عن الحكمة بالشيوع وكثرة الدوران على الألسن، يقول أبو هلال العسكري: "جعل كل كلمة حكمة سائرة مثلاً، وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به، إلا أنه لا يتفق أن يسير، فلا يكون مثلا" (العسكري، 1988، ص 10)، وبناء عليه فإن التبئير يعمل على حشد المعنى وتكثيف الحكمة في سياق تعبيري محصور في اللفظ الموجز والمغزى المعمق في نقطة دلالية محددة، فيعمل بذلك على تجلية الحكمة وسطوعها للمتلقي، فلا يكون غرضه الترف الفني فقط بمقدار ما هو أداة لحشد بؤرة الإقناع بحيث لا يخرج جوهره وشأنه عن مسلك الإجبار والحث على تبني وجهة نظر محكمة وإن غابت وسيلة التوجيه والوعظ المباشرين، الذي لا مناص منه ولا مفر وإن كان صاحبه في موطن الجَمَلِ الذي لا يَرَى حدبته أو الذي يعفس على الجمرة؛ ويقابله المثل الليبي: الفول قال: السوس من بره، فهو يركز على موطن العيب والخلل، ويطلق عندما يعتقد الشخص أنه براء من المشكلة والعيب بينما يكون في الأصل هو موطن العيب، وذلك كمثل حبة الفول التي يكون السوس متغلغلاً فيها من الداخل، فلا يضرها السوس الموجود على القشرة الخارجية؛ لأنه يكون بَيّنًا واضحًا فيسهل بالتالي التّنَبه له وإزالته أو التَّوَقّي منه، وعلى منواله المثل الشعبي: "يا مزين من بَرّه شن حالك من داخل" (أبو خشيم، 2014، ص 89)، فهو يبرز تناقض مدعي الكمال بين المظهر المثالي والواقع المليء بالعيوب.

وفي كل مما سبق ومثيلاته تبرز الحكمة في فن الرد الذكي والوصول إلى خلجات المخاطب في موطن التأثر، فالحكمة غالبًا تُنَبِّهُنَا إلى أن العيب يبدأ من الداخل، فبالتالي – وبلمحة تهكمية في الرد على مدعي النزاهة لمن هو غارق في الفساد أو يدعي المعرفة وهو جاهل – يرسم صورة الشخصية غير الواعية، فيكون الاعتراف بالخطأ أول خطوة للإصلاح وصولاً إلى تآكل الشخصية تمامًا.

ب ـ استيضاح التجربة الإنسانية:

على اعتبار أن المثل الشعبي وسيلة رابطة بين السابق واللاحق في التجربة المعاشة والعمل على إيصالها في أبهى صورها التعبيرية المختصرة والمؤثرة، فَتُبْرِزُ الأمثالُ الشعبية عن طريق التبئيرِ، التجربةَ الإنسانيةَ المحددةَ ضمن سياق السرد والموقف سواء أكان توعية أم تحذيراً أم تنفيراً أم صبراً أم غير ذلك، فيحور التبئير الرسالة التي ينقلها المثل الشعبي، فهي

"رؤيةٌ تعبّر عن السيرورة الحضارية للشعوب في ارتباطها بماضيها وحاضرها ومستقبلها؛ حيث يشترك أكثر من ظرف في نسج صورة المثل، وعلى العموم يساهم في بناء المثل العلماء والفقهاء ورجال الدين والسياسة والأفراد العاديون البسطاء، مما يعطي المثل ديناميكية التأثير ويربطه بالأحداث والمواقف المختلفة في الحياة اليومية" (أيوب، 1982، ص 162).

ج ـ توجيه فهم المتلقي:

وقوفاً عند ما يمكن تسميته بسر المنعطفات القصصية، يلعب التبئير دوراً في توجيه فهم وثقة المتلقي من خلال حصر زاوية الرؤية التي تَعَمّدَ الراوي قصر المقال والحدث فيها باستخدامه لتقنية الحصر والتركيز إلى توجيه المتلقي ـ قارئاً أو سامعاً ـ إلى زاوية معينة لفهم مغزى المثل ومراده؛ لأنه يركز على عنصر محدد في التجربة التي ينصب فيها، اجتماعية أو سياسية أو غير ذلك، من خلال عدسة الكاتب التي يضعها على عيني القارئ، لا ليحدد من يرى، ولكن ليحدد ماذا يرى؟ وبماذا يشعر، فيعمل التبئير عمل بوابة المعلومات التي تحجم الحقائق الواصلة للمتلقي.

د ـ حشد الدلالة وتكثيفها:

من المسلمات التي يستند إليها إطلاق المثل الشعبي لضمان تأثيره واستمرارية تداوله مسألة قلة اللفظ وكثافة المعنى، الأمر الذي ينحصر به المغزى والمقصد، وهذا عين التبئير وجوهره، أي أن المعنى مُحَشَّدٌ ومركزٌ في اللفظ اليسير والقليل، مما يتطلب فك الشفرات اللغوية والجمالية الإبداعية التي تجعله في جُمَلِهِ القصيرةِ مخزناً لذاكرة وثقافة مجتمع كامل، فيعمل على توجيه الرؤية داخل المثل لاصطياد المعنى وتثبيته بقصد تحويله من مجرد كلام تعبيري عام إلى قاعدة معرفية توجه الفرد في بيئته ووسطه الذي هو فيه، فَيُصَيِّرُ تبئيرُ المثلَ في النَّصِ القصيرِ، نصًا مفتوحًا يقبل التأويل وسط بيئات متعددة الظروف مع ثبات صياغته اللفظية.

هـ ـ تسهيل الحفظ ويسر التداول:

إن تسارع المواقف الحياتية بجوانبها الإيجابية والسلبية وتداخلها يؤثر على الذاكرة البشرية، فيفعل التبئير في الأمثال الشعبية عمل لسعة النحلة التي تصغر أداتها وينحصر مكانها ويتسع حجمها وأثرها.

هذا ما يخص المثل الشعبي أو العامي الذي يختلف عن المثل الفصيح لانسلاخه من قواعد العربية كالفصاحة والإعراب؛ لأنه نابع من اللهجة المحكية، وهو الأكثر شيوعاً في الأوساط الاجتماعية، نظرًا لسهولة استخدامه وطرافته، وكونه يعكس المواقف والأحداث ويقدم من خلالها نموذجًا يقتدى به في المواقف المشابهة.

وعلى هذا الأثر فإن للتبئير دورًا في الأمثال الشعبية يقوم مقام الاستثمار في مجالات حفظ التجارب الإنسانية وتوثيقها والخصوصية الثقافية للمجتمع، والناحية الحضارية والناحية التربوية والجمالية وإيجابيات الأمثال الشعبية وتجنب سلبياتها وحفظ مفردات اللغة وغريبها، ودراسة اللهجات الليبية، كل ما سبق وغيره ممن يعمد إلى التركيز على زاوية أو نقطة المثل لتوصيل رسالة معينة عبر ما يعرف بمركز الضوء أو البؤرة في المعنى، وهذه حال البؤرة في مجال علم الفيزياء من حيث تفعيل فكرة تجميع وحصر الضوء في نقطة واحدة بعدسة معينة، فينتج عنها إحداث الأثر المقصود بالإصابة المباشرة في المكان المراد والحاصل من توجيه وحصر بؤرة العدسة في المكان المعلوم، وهذا يعني: من أي منظور تروى الفكرة أو تعرض الحكاية؟.

وبناء على ذلك النمط المتعاهد للتبئير فإنه وبعد التتبع له ضمن دائرة الأمثال الشعبية وآلية ظهوره فيها " استناداً إلى جماليات العبارة وصياغاتها الدارجة وزاوية الدلالة والمأثورات المتداولة التي تكمن في بلاغة جمالها من حيث: لطافة الأداء وروعة التصوير حتى في المقزز أو الساخر أو التهكمي أو الخليعي الماجن من التعابير...، لا تخرج عن كونها

عفوية، واقعية غير متصيدة، منها غريب مستوحش وسؤال يُطْرَح وطريق للبحث وللتفحيص" (المصراتي، 1982، ص 12)، من حيث إن التبئير يتعلق بزاوية الرؤية أو مصدر المعرفة في النص، وعلى هذا الأساس تمخضت واستقرت فكرة التبئير عند جيرار جينيت حول مفهوم: التصبيغ الكيفي، أي: عبر أي قناة يمر الحكي إلى القارئ؟. (جينيت، 1997).

2 ـ شواهد أنواع التبئير في المثل الشعبي الليبي:

يلعب التبئير دور التقنية المستحدثة والسمة الجوهرية في تحديد المنظور السردي، باعتبار أن المثل الشعبي يتسم بغزارة الصورة البصرية، وتمكنه من نقل وجهة نظر مجتمعية عميقة من خلال تراكيبه النصية الخاضعة لمفردات البيئة، فيعمل عمله في التأثير على القارئ ويوجه فهمه للأحداث والشخصيات، وبه تتعمق آثار نفسية معينة وفق توظيف التبئير في استخدام سارد المثل لتقنيات التحكم في مدى معرفة الراوي أو السارد بالأحداث والشخصيات لتوجيه تجربة القارئ (المتلقي)، والعمل على مسألة التحفيز العاطفي والتشويق، يتم التوصل عن طريقها إلى بناء عالم حكائي غني، من خلال العمل على تحديد بؤرة الرؤية، بما يخدم تطور الأحداث ودوافع الشخصيات ويؤثر على تفاعل المحكي له أو القارئ مع النص، فتتكشف أيديولوجية المثل والتي من خلالها نستطيع معرفة صاحب السلطة في الوسط الحكائي، وكيف يرى الآخرين تبعا للأنواع التالية:

أ ـ التبئير الصفري (اللاتبئير) وتكون قصة المثل الشعبي فيه " ذات الراوي العليم في النقد الأنجلوسكسوني: يدرس النقد الثقافي الأنجلوسكسوني النصوص بما يتجاوز الجانب الفني، بغية رصد القصدية الأيديولوجية الخفية فيها، وكشف الأنساق الثقافية واللاواعية التي تشكل الشخصيات والصراعات، ليفهم كيف تعكس المواقف والقيم السائدة في المجتمع، بعيدًا عن مجرد وصف الأحداث أو الأسلوب" (حمداوي، د.ت، ص 278).

وهو أيضًا ما يعرف بالرؤية من الخلف، وفي هذا النوع يكون المتكلم أو راوي المثل الشعبي على دراية تامة بالحقيقة العامة للحياة أكثر من أي شخصية أخرى؛ حيث يكون السارد عالمًا بخفايًا العالم الروائي، وهو ما يبرز ظهوره في السرد الكلاسيكي، أو هو ما يعرف النمط السردي بالحكاية غير المبأرة، فيتم من خلاله تقديم حكمة شاملة كما في المثل الشعبي: اللي ما يعرفك يجهلك، (أبو خشيم، 2014)، مثل يظهر فيه القدرة على التغلغل في أعماق المشهد بكل مشتملاته وتفاصيله، فلا يقتصر على ما يبصره المتلقي أو القارئ بذاته وأم عينه بقدر ما يعمد إلى نقل مرويات تكون خانقة وخافتة تحصل بين الشخصيات في مشهد يدلل على رؤية كلية الإدراك والمعرفة الواسعة من السارد فيظهر وكأنه يشرق ويواجه مجريات المواقف من الخارج دون أن تحده قيود المكان ولا الزمان، فيلم بما لا يتسنى لغيره من الشخصيات أن يشاهده أو يطرق أذنه.

"فيغيب التبئير حين تكون معرفة الراوي غير محدودة، أي حين يعرف كل شيء عن الشخصية التي يروي خبرها، ماضيها وحاضرها وأحاسيسها وأفعالها وأفكارها، فيروي عنها أحياناً أكثر مما تعرف عن نفسها، يروي لنا ما نسيته وما لم تسمعه وما سوف تلقاه في مستقبلها، وغالبًا لا يسند الراوي هذه المعلومات إلى نفسه بل يترك هذه المعلومات تجري من تلقائها، كأن الرواية تروى بقوتها لا بلسان راويها" (زيتوني، 2002، ص 139).

فهذا المثل يقدم معرفة عامة شاملة عن طبيعة البشر، ولا تبئير فيه على شخص معين، ففيه تشتيت المعرفة وتحييد الجهالة، ولكنه يعبر عن تجربة اجتماعية واسعة، فالرؤية فيه شاملة وتتجاوز تجربة فرد واحد.

ب ـ التبئير الداخلي: (الرؤية من داخل الشخصية) الذي يقوم على تضييق في حقل رؤية السارد، كونه يعبر عن منظور الشخص الذي عاش التجربة، فإن المتكلم في هذه الحال يتنازل عن حرية تقديم الأحداث للشخصيات المتلقية أو القارئ، فيكون الإلقاء بصوت السارد؛ لكن وجهة النظر للشخصية كما في المثل: اللي عضك نبهك لسنونك (أبو خشيم، 2014)، فهذا المثل يعكس نفسية الشخص الذي تعرض لتجربة قاسية ومؤلمة، وقد تكون بلغت درجة الدمار، فبالتالي قادته تلك التجربة إلى أن صيرته حذرًا غاية الحذر، فألم العضة وهي نتاج تقابل فكي الأسنان على جزء من بدنه في موطن ما على جسده ألحق به ألما أثار تحسسًا غير مقبول، ووجعًا يطول، لفت انتباه المتضرر إلى أن سلاح الخصم ليس بعيد المنال ولا صعب الاستعمال؛ بل هو متاح ويسير الاستعمال.

إن هذه الرؤية تنطلق من التجربة الإنسانية ممثلة تبئيراً داخليًا، فهو وسيلة الراوي إلى إبراز الصراع بين نقاء الذات وسوء الثوابت والمعطيات الواقعية، فيحول التبئير مقصود المثل إلى شكل من أشكال التنوير السردي لتجاوزه حدود القول الحكائي إلى استشراف حدود التجربة المعرفية والفكرية.

وفيه تتساوى معرفة السارد والشخصية، وقد يكون التبئير الداخلي ثابتًا أو متحولاً أو متعددًا، وهذا التبئير تمثله الرواية الترسلية.

ويشكل التبئير الداخلي مساحة واسعة في بناء النص، كاشفاً للوعي الوجداني الداخلي للشخصيات، وبالتالي فالتبئير الثابت يبرز تحولات ضخمة في فهم الشخصيات، والتبئير المتغير يطور وينمي وعي الشخصيات عبر الزمن بإعادة النظر في طرح ذات الحدث من زوايا الشعور المتعددة، والتبئير المتعدد يسهم في اتساع أفق الرؤية السردية بتعدد الوعي العرض للحدث الواحد بهدف تعميق الدلالة، وتسهم تلك الأنماط في بناء وعي سردي مركب بغية تشتيت الوعي داخل العالم الروائي.

ج ـ التبئير الخارجي: وهو ما يعادل الرؤية من الخارج، وتكون فيه الشخصية تتصرف أمام الملأ دون معرفة ما يدور في فكرها أو يؤثر في مشاعرها، فيصف المثل – باعتبار هذا النوع من التبئير – السلوك الظاهر للناس دون الولوج إلى مكنونات أعماقهم ولا نواياهم.

ففي المثل الشعبي القائل: "كل قرد في عين أمه غزال" (أبو خشيم، 2014، ص 127)، عرض لأفعال الشخصية جلية واضحة أمام القارئ باستعمال الحصر " لأن السرد يجري فيه من خلال بؤرة تحدد إطار الرؤية وتحصره، والتبئير سمة أساسية من سمات المنظور السردي، لهذا ينبغي تجنب الخلط بين المنظور والصوت: فالمنظور يجيب عن السؤال: من يرى؟ أما الصوت فيجيب عن السؤال: من يتكلم؟ ولكن التبئير لا ينحصر في إطار النظر، وإن كان النظر هو أهم مصادر التبئير، فقد يكون بالسمع أيضًا، فالمقصود بالتبئير هو حصر معلومات الراوي . وبالتالي القارئ . حول ما يجري في الحكاية" (زيتوني، 2002، ص 40) تبرز دلالات التبئير أو التركيز وفق زاوية رؤية المتلقي، فمنها ما يركز على العاطفة، من حيث التوجيه إلى العين المحبة والعاطفة، لا العين الحقيقية المادية، فيكون التقييم وفقها نسبي وشخصي تبعًا للميول والرغبة، وهذا غير متساوٍ بين فئات المجتمع، فتكون لهجة السارد والموقف الذي يحكي فيه وطبيعة المتلقي هي موطن التبئير.

وكذلك التبئير على الوصف، وهي مفارقة اجتماع القبح والجمال باستخدام المقارنة بين مخلوقين: القرد باعتباره رمز للذمامة أو البساطة من جهة، ومن جهة أخرى الغزال باعتباره رمزًا للجمال والسحر والرقة، بغية الوصول إلى إظهار شدة التناقض بين الواقع ورؤية المحب.

بالإضافة إلى التبئير على السلوك الذي يغلب عليه التحيز والاستمالة في المعاملة الآدمية، وهذه الحال تكون في تفضيل فئة على أخرى، كما في الميل إلى بعض الأقارب أو الأبناء أو الأصدقاء، وفي المثل سخرية من بعض المعجبين بالشيء المقرب إليهم، ولكنه في الواقع لا يستحق هذا المديح والإعجاب.

فالتبئير الخارجي يظهر السارد فيه بسمة الجاهل لحقيقة أفكار الشخصيات، غير مهتم بمبتغاها، مقتصرًا على الوصف الخارجي للشخصيات، أو تتبع حركتها، وهو ما يحدث أثناء الحوار الذي يتم بين الشخصيات التي تتفاعل فيما بينها، فينتج عن إحداها التلفظ بالمثل الشعبي تعبيرًا مختصرًا في لفظه مثقلاً بدلالته ومعناه، وهو ما يتوالد معه حوار متخيل غير مقول ودلالة كبيرة غير محددة المعنى إلا من خلال فهم السارد أو المسرود له، حسب سياقات القول.

خامساً: الخلاصة:

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج تتلخص في النقاط التالية:

1. يعمل المثل الشعبي الليبي على ممارسة سلطة نقدية في حدود واقع مقنن من خلال وضع ضوابط سلوكية واجتماعية وغيرها، صارمة في جمل قصيرة ذات دلالة مفلترة عن طريق التبئير الذي يصفي الشوائب ويبتر النتوءات ليبقي الجوهر خاصاً ونقياً.

2. بيان ماهية المرجعيات الثقافية والاجتماعية في التحكم في صياغة الأمثال الشعبية الليبية ودورها في تحليل العلاقة بين الباث ـ الراوي الضمني ـ والموضوع الذي يؤطره سياق المثل.

3. خضوع الأمثال الشعبية الليبية إلى مستويات التبئير التي حددها جيرار جينيت ـ التبئير: الخارجي، الداخلي، الصفري، باعتبارها نمط سردي يخضع لمقاييس النقد البنيوي والسيميائي، وهذا الأمر يعزز مبدأ انتفاء راوٍ ملموس في المثل الشعبي المبأر ولكن يوجد زاوية رؤية تحدد رأي وموقف المجتمع والبيئة من قضية معينة.

4. تقارب الوظيفة النقدية للتبئير والوظيفة الحكائية السردية للمثل في سياق الدرس البنيوي السيميائي الحداثي كونهما يعملان بمبدأ الاقتصاد اللغوي من حيث اختزال رؤية فلسفية تامة في المختصر اللفظي للمثل الشعبي الأمر الذي يصنع بؤرة المثل الحادة والمباشرة.

5. يعمل التبئير على تحول قالب المثل الشعبي من جانب الفلكلور الجامد إلى قالب الانفتاح النصي متعدد الدلالات، الأمر الذي يسهم في اتساع مدارك العقل الليبي وآلية فهمه للواقع.

6. خضوع المثل الشعبي الليبي لأدوات النقد باعتباره وحدة سردية مكثفة تخضع لآليات يقننها التبئير باعتباره أداة رئيسية تعمل على توجيه وحصر ـ فكر ـ عين المتلقي (قارئًا وسامعًا) في زاوية محددة.

سادساً: قائمة المصادر والمراجع:

1: المصادر:

- ابن منظور (2003). *لسان العرب*. دار الحديث.
- أفلاطون، (2004). *الجمهورية . الكتاب الثالث*. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- العسكري، أ، (د.ت). *جمهرة الأمثال*. دار الكتاب العلمية.
- القيرواني، ا. (1981). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*. دار الجبل.

2: المراجع:

- أبو خشيم، ح. (2014). *الأمثال الشعبية في ليبيا: دراسة مثالية محكمة مع الشرح والتحليل*. مطبعة العمرانية للأوفست.
- زيتوني، ل. (2002). *معجم مصطلحات نقد الرواية*. مكتبة لبنان.
- جينيت، ج. (2000). *خطاب الحكاية*. منشورات الاختلاف.
- جينيت، ج، & أوسينسكي & رؤسوم، & فان. (1989). *نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير*. منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي.
- حقيق، م. (1978). *الأمثال الشعبية في ليبيا*. الشركة العامة للنشر والتوزيع.
- حمداوي، ج. (د.ت)، *نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة*. جامع الكتب الإسلامية.
- علوش، س. (1985). *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة*. دار الكتاب اللبناني.
- قسومة، ص. (2009). *علم السرد: المحتوى والخطاب والدلالة*. مطبوعات جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية.
- لحمداني، ح. (1991). *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي*. المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- المصراتي، ع. (1982). *التعابير الشعبية الليبية دلالات نفسية واجتماعية*. المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.
- نقرة، ت. (1974). *سيكولوجية القصة في القرآن الكريم*. الشركة التونسية للتوزيع.

3: المجلات العلمية:

- أيوب، ع. (1982). *الذاكرة واللسان .المجلة العربية للتربية والثقافة والعلوم*. تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، العدد (2). ص 162.